الفصل الأول

موضوعية التوجيه .. وإعجاز القرآن

● **تمهـــيد :**

كلما كان مصدر التوجيه موضوعيا .. كلما كان أقرب إلى التعبير عن المســتوى الإنســانى الرفيع : فى التفــكير .. وفى الذوق .. وفى الإرادة والعمل .. وفى الوقت نفسه كلما بعد أن يكون فى مقدور الإنسان المتوسط ، ويكاد يكون خاصاً بأصــحاب المواهب والمتفردين فى نشــاط الإنســان الفكرى .. والذوقى .. والإرادى أو العملى .

فإذا خلص مصدر التوجيه : لموضوعية التوجيه .. ولموضوعية المبادىء التى تصور القيم الرفيعة فى الفكر الإنسانى .. وفى صفاء العلاقات واتسامها بجمال الإنسانية ، وفى العمل والتطبيق وبعده عن الضلال والحيرة : كان هذا المصدر فوق طاقة البشر ، وبالتالى كان معجزاً للإنسان ، مهما استعان فى مثله بآخرين معه فى الطاقة والقــدرة على الإنتاج . وحينئذ يقال : إن هذا المصدر معجز .. كما يقال : إن الذى يدعو لما فيه .. يدعو بتكليف من قوة فوق قوة الإنسان ، وليس من ذاته .. وقد اختير هذا الداعى من تلك القوة المتفوقة لأداء رسالة الدعوة إليه . فهو رسول ... وما يدعو إليه : رسالة .

obeikandl.com

وإذا ثبت أن رسالة الله التى أرسل بها رسول لم تزل تصور موضوعية التوجيه البشرى فيها لخلوها من التحريف .. فإنها عندئذ تكون الأصل أيضاً فى بناء الحضارة الإنسانية . أى فى بناء ذلك الإطار الذى يضم كل قيمة رفيعة يسعى إليها الإنسان .. والذى يتحرك فيه الإنسان المتحضر . ذلك الإنسان الذى يرى أن السلام ــ سلام النفس .. أو سلام العلاقات بين النفوس ــ هدف الإنسان فى حياته . وسيشير الإيمان بذات الله فى هذا الإطار الحضارى ، بما لهذه الذات من صفات عديدة : إلى جميع القيم الرفيعة التى يجب أن يسعى الإنسان المتحضر لمحاكاتها فى : تفكيره .. وإحساسه بالجمال .. وإرادته فى العمل .

فكل صفة من صفات الله تعتبر قيمة رفيعة يسعى الإنسان المؤمن بالله إلى محاكاتها : فالخلق .. والإبداع .. والعلم .. والحياة .. والإرادة .. والقدرة .. والشدة .. والرحمة .. والغنى .. والسلام ..والهيمنة .. إلى بقية الصفات الأخرى له : هى قيم عليا يحاكيها من يؤمن بالله ، ويعبده .

والإيمان بالله إذن هو : منطلق اليقظة إلى وجود القيم الرفيعة فى حياة الإنسان فى إطار الحضارة البشرية . بينما عبادة الله ــ أو الإسلام أو الخضوع والامتثال لله ــ هى السبيل إلى تحريك الإنسان المؤمن فى سعيه نحو محاكاة صفات الذات له جل جلاله ، كقيم عليا ينشدها الإنسان ، إذا ما فكر .. أو أراد ، وعمل فى إطار حياته الخاصة .. أو فى دائرة حياته مع الآخرين فى مجتمعه .

والدين إذن إذا كان منهجا وطريقاً فمرتكزه الأول والأخير الإيمان بالله . وبغير الإيمان بالله لا يعى الإنسان غير المؤمن قيما عليا فى حياته .. وبالتالى لا يتحرك فى السعى نحو محاكاتها .

والحضارة الإنسانية هى ــ بعد ذلك ــ إيمان بالله ، طالما هى مجموع النشاط الإنسانى فى تفكيره .. وفى ذوقه وإحساسه بالجمال .. وفى مجاله الإرادى الحر . ذلك النشاط الرفيع فى مستواه ، ولن يكون نشاط الإنسان رفيعاً فى مستواه إلا إذا وعى القيم العليا أولا وسعى إلى محاكاتها بعد ذلك .

وذلك عن طريق الإيمان ... والإسلام ، أى عن طريق الإيمان بالله .. والإذعان له فى عبادته إياه .

* * *

● **ما قيل فى اعجاز القرآن :**

وقد قيل كثيراً عن إعجاز القرآن ، ولكن ربما لم يقل حتى الآن عن إعجازه ، عن طريق موضوعية التوجيه فيه . كما لم ينوه بالربط بين موضوعية التوجيه وقيام الحضارة الإنسانية .

● **اعجاز القرآن بالاسلوب :**

هناك من يقول من العلماء بأن إعجاز القرآن ، وصدق دلالته على رسالة الرسول محمد عليه السلام ، يعود إلى أسلوبه العربى : فى البلاغة .. والفصاحة .. وحسن الصياغة والتركيب . ويعتمدون فى ذلك على مثل ما جاء فى سورة البقرة من قول الله تعالى : « **وان كنتم فى ريب** (والخطاب موجه إلى المشركين الماديين بمكة) **مما نزلنا على عبدنا** (والذى أنزل هو القرآن .. وعبد الله هو رسوله محمد عليه السلام) **فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله** (وهم أصنامهم يحضرون معهم) **ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ، اعدت للكافرين** » (١) ..

... فالقرآن يتحدى الكافرين به والذين يعارضونه ــ وهم عرب مثل الرسول عليه السلام ــ وأكثر تمرساً منه على الأسلوب فى التعبير : بأن يأتوا بسورة مماثلة لسوره . ولهم أن يستعينوا بما يشاءون من أنصارهم ومعبوداتهم : فى الإتيان بالسورة المماثلة المطلوبة . وفى الوقت الذى يتحداهم القرآن بذلك : يقطع : بأنهم لا يستطيعون أن يأتوا بالسورة المماثلة . لأن القرآن من عند الله ، وليس من صنع البشر إطلاقا . وما كان لله لا ترقى لكماله : صنعة الإنسان ، أى إنسان .

ففهم الذين يقصدون بالإعجاز : إعجاز الأسلوب فى البلاغة .

---

(١) البقرة : ٢٣ ، ٢٤

والفصاحة ، وجودة التعبير : من مماثلة السورة المطلوبة فى التحدى ... مماثلة الأسلوب العربى للقرآن . فإذا عجز المكيون ــ وهم عرب ــ عن ذلك ، قامت الحجة عليهم ، وألزموا بالتالى بصدق الرسول محمد عليه السلام . وطالما ألزم المكيون بصدق رسالته بسبب عجزهم عن الإتيان بسورة مماثلة ... فالبشر جميعاً يلزمون كذلك بصدقها . لأنه عندئذ : يلزم العرب المكيون باعتبار أنهم أهل الاختصاص بين الجنس البشرى بأسلوب القرآن ، ومتى قامت الحجة على أهل الاختصاص ، فإنها تقوم على الباقين الآخرين بين الناس جميعاً : بالأولى .

ولكن إذا قرأنا تعليق القرآن على تحديه فى هذا الشأن ، فى قول الله تعالى فى سورة يونس :

« وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه (أى من التوراة والإنجيل) **وتفصيل الكتاب** (وهو الرسالة الإلهية عامة) **لا ريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين . بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ، كذلك كذب الذين من قبلهم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين »** (٢) ..

.. إذا قرأنا تعليق القرآن هنا فى قوله : **« بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله »** .. فإن هذا التعليق يشير إلى أن رفضهم للقرآن كان مبكراً وسابقاً على إحاطتهم به .. وكذلك كان سابقاً على عدم وقوفهم على مبادئه وأهدافه . إذ لو أنهم أولا : أحاطوا به علماً .. ووقفوا على أهدافه ومبادئه ... ربما ترددوا فى رفضه ، لأن فيه من المبادىء والأهداف ما يحمل غير المتحزب لهواه على الاعتراف به كمصدر صالح لتوجيه البشرية .

وفى مضمون هذا التعليق ما يدل : على أن « المماثلة » المتحدى بها ، ليست مماثلة اختيار اللفظ ، وحسن صياغة التركيب ، بقدر ما هى : فى صلاحية مبادئه للبشرية وعمومها للناس كافة .. وبقدر ما هى فى تجردها عن البواعث الخاصة . ولو كانت هذه المبادىء من شخص ، ونتيجة لظروفه وبيئته الخاصة ، لما كان لها عموم الصلاحية فى التوجيه عندئذ .

* * *

(٢) يونس : ٣٧ ــ ٣٩

● **اعجاز القرآن .. باخباره بالغيب :**

ويرى بعض آخر من العلماء : أن فى بعض آيات القرآن الكريم ما يعبر عن نهايات معينة لبعض مجتمعات بشرية ، أخبر بها قبل أن تقع .. وفى وقت يظن الناس فيه : أن عكس هذه النهايات التى أخبر بها : هو الصحيح لبعض هذه المجتمعات . فيقول فى سورة آل عمران :

« **قل للذين كفروا** (وهم المكيون الماديون) **ستغلبون** (أى سينتصر عليكم المؤمنون بمحمد عليه السلام) **وتحشرون الى جهنم ، وبئس المهاد . قد كان لكم آية فى فئتين التقتا ،** (فى غزوة بدر) **فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار** » (٣) ..

.. فأخبر القرآن عن نهاية المجتمع المادى فى شبه الجزيرة العربية بانتصار المؤمنين على الماديين فيه ، فى وقت كان يتمتع به هؤلاء الماديون بقوة عددية ، وإعدادية .. بينما المؤمنون كانوا على ضعف فى العدد ، والعدة معاً . وضرب القرآن بما انتهى إليه الأمر فى « بدر » مثلا على ما أخبر به من النهاية الأخيرة للماديين التى تنتظرهم .

.. ويقول فى سورة الروم :

« **آلم . غلبت الروم . فى أدنى الأرض** (أى فى الأرض القريبة المجاورة لشبه الجزيرة العربية . وهى أرض الشام . وقد غلبت الروم فى الحرب الشاملة بينها وبين الفرس ، والتى ابتدأت فى سنة ٦٠٣ بعد الميلاد ، واستمرت حتى بعد سنة ٦١٠ على عهد الامبراطور الرومانى هيرقل « Heraclius » الذى دام حكمه من ٦١٠ ــ ٦٤٢ . وفى هذه الحرب اكتسح الفرس الرومان . واحتلوا : حلب .. ودمشق .. ومعظم المدن السورية الأخرى فى سنة ٦١١ ، كما سقطت القدس فى أيديهم سنة ٦١٤ ــ ٦١٥ ، تقريباً سبع أو ثمانى سنوات قبل هجرة الرسول إلى يثرب . وقد أحرقت القدس ، وحوصرت ، ونكل بالمسيحيين هناك ، كما أحرقت الكنائس ، وسلبت الآثار المسيحية المقدسة : وفى مقدمتها : الصليب الذى يدعى أن

(٣) آل عمران : ١٢ ، ١٣

المسيح صلب عليه . واحتفل رجال الدين فى فارس بانتصارهم على رجال المسيحية فى القدس) .

« **وهم من بعد غلبهم سيغلبون . فى بضع سنين ،** (وابتدأ الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته فى سنة ٦١٠ ، وأعلن تبليغه الوحى إلى الناس . وفى هذا الوقت الذى شغل فيه العالم إذ ذاك بانتصار الفرس على الروم ، واعتقد ، أنه انتصار فاصل .. يوحى الله إلى رسوله عليه السلام : بأن هذا النصر قريب الأجل ، أى لا يستمر إلا بضع سنين .. وبأن الرومان سينتصرون على الفرس بعد مضى هذه السنين القلائل انتصاراً ساحقاً . أخبر القرآن بذلك ، والرسول بمكة ، ولم تتقرر هجرته بعد إلى يثرب . وحصل الرومان على النصر فى عهد هيرقل (٦١٠ ــ ٦٤٢) أو بعد الهجرة إلى المدينة . وقد كانت سنة ٦٢٢ م . وقد احتفل هيرقل بهذا النصر فى مدينة القسطنطينية أولا فى سنة ٦٢٨ ، أى بعد الهجرة بست سنوات . ثم سار من القسطنطينية إلى مدينة حمص بالشام .. ومن هناك إلى القدس . وأعاد الوضع المسيحى ، الذى كان للإمبراطور الرومانى من قبل) .

« **لله الأمر من قبل ومن بعد ،** (أى أمر الهزيمة والنصر ــ وكذلك كل شأن فى نهايته ــ يرتبط بإرادة الله وحده) .

« **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ،** (أى وانتصار الرومان بعد هزيمتهم على الفرس ، هو بشرى للمؤمنين يفرحون بها . لأنه انتصار دولة سيعقبه فناء أمة . فالنصر عقد الآن لدولة هيرقل . ولكن سيتحول إلى فناء الإمبراطورية الرومانية فى الشرق كله .. وفى شمال أفريقيا ، ويرثهم المؤمنون فيما لهم من ديار .. وأموال .. وشعوب . وهكذا : الحرب بين الرومان والفرس ــ بغض النظر عن المنهزم والمنتصر فيها ــ كانت مقدمة لنشر الإسلام وعزة المؤمنين : فيما كان للإمبراطوريتين معاً . ونصر الله الذى يفرح به المؤمنون هو نصره للمؤمنين أنفسهم فى شبه الجزيرة .. وما وراء الجزيرة . وليس نصره للرومان باعتبار أنهم أهل كتاب ، كما يدعى فى كتب التفسير . وإلا : هل أهل الكتاب مؤمنون بالله فى الوقت الذى

يقولون فيه : بالتثليث .. وبألوهية المسيح .. وبادعائهم : أن عزيراً ابن الله ؟. يجيب القرآن الكريم على ذلك بقوله : « **لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد** » (٤) ..

« **ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم . وعد الله ، لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » (٥) .. (والله لم يعد بنصره إلا المؤمنين وحدهم . وهذا يؤكد : أن فرح المؤمنين بنصر الله ليس هو بنصر الرومان على الفرس . ولكن بنصر المسلمين أنفسهم : فى « بدر » أولا .. ثم بعد ذلك خارج الجزيرة فى دنيا الإمبراطورية الفارسية ، والأخرى الرومانية) .

.. وهكذا يخبر القرآن بأمرين تحققا بعد فترة من الزمن :

أولا : يخبر قبل الهجرة من مكة إلى يثرب بانتصار الروم على الفرس . ولم يقع هذا الانتصار إلا بعد ست سنوات من الهجرة .

ثانياً : يخبر بأن المؤمنين سيفرحون بنصر الله لهم على الماديين المكيين بشبه الجزيرة ، وعلى الروم والفرس جميعاً . ويخبرهم بذلك وهم أيضاً بمكة يلقون الهوان من المكيين الذين لا يعدون شيئاً فى مواجهة الفرس ، أو الروم . وقد فتح المسلمون مكة انتصاراً على المشركين ، ودخلوا بيت المقدس ، كما فتحوا القسطنطينية ، ودخلوا فارس وأطراف الإمبراطوريتين .

فإخبار القرآن بهذه الأمور المغيبة يتخذه بعض العلماء دليلا على صدق الرسول عليه السلام فى رسالته . فالرسول عليه السلام كإنسان ليست له من الأهلية أن يخبر بما أخبر به القرآن هنا . والقرآن إذن ليس من الرسول ، ولا صادراً عنه . **بل هو وحى من الله إليه .**

ولكن أيضاً لو قرأنا فى شأن القرآن فى مواجهة المكيين الماديين ، قول الله تعالى :

« **أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، ان فى ذلك لرحمة**

---

(٤) المائدة : ٧٣ (٥) الروم : ١ ـ ٦

وذكرى لقوم يؤمنون » (٦) .. في رده على الماديين المكيين عندما طلبوا آية مادية على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في قولهم قبلا : **« وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه »** (أي عدا القرآن) **قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين »** (٧) .. لو قرأنا هذا الرد : لبان لنا أن أمراً آخر وراء الإخبار بالغيب وهو ما ينطوي عليه القرآن من هداية لصالح الناس **« ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون »** .. هو السر في حجيته الآن ، وفي كونه دليلا على صدق الرسول عليه السلام .

ولكن ليس معنى ذلك : أن الإخبار بالغيب .. كحسن النظم والصياغة في الأسلوب من قبل .. ليسا من الجوانب المميزة في القرآن ، والتي تدل على سموه وارتفاعه عن طاقة البشر . إلا أنه قد يواجه الإخبار بالغيب : بأن تحققه كان من الصدفة ، أو كان نتيجة لنظرة بعيدة في حركة التاريخ وظروف أحداثه . كما قد يواجه الأمر الثاني بأن إدراك قيمة الصياغة في أسلوبه وقف على أناس معينين ، وفي جيل خاص ، وهو جيل المنافسة في التعبير في الأسواق الموسمية ، التي كانت تقام من وقت لآخر في شبه الجزيرة .

* * *

● موضوعية التوجيه :

إن أي عمل عادي للإنسان ــ أي ليس فوق مستوى البشر ــ قد لا يسهم إطلاقاً في الحضارة البشرية . وكلما تميز عمل لإنسان : في دقته .. وفي إبداعه .. وفي تجرده عن البواعث الشخصية والأهداف الخاصة : كلما كان إسهامه في بناء الحضارة ، بقدر ما له من مستوى ودرجة في التمييز .

إن الحضارة الإنسانية بمعناها الذي ينم عن جوانب الإنسانية في : الذوق والجمال .. والإرادة والعزم .. والفكر والمنطق : هي حصيلة الإسهامات العديدة من الأفراد في هذه الجوانب . ولا يدخل هذه الحصيلة

---

(٦) العنكبوت : ٥١

(٧) العنكبوت : ٥٠

إلا ذلك الإنتاج للإنسان الذى كان أقرب إلى قمة الإنسانية ، منه إلى مستوى آخر أدنى من هذه القيمة .

والتجرد فى الإنتاج عن البواعث الشخصية والأهداف الخاصة هو الإطار العام ـ أو الضابط الكلى ـ لما يسمى بمستوى القمة فى الإنسانية . لأن عيوب الإنتاج الإنسانى ، أو النقص فيه ، الذى يصحبه : يرجع إلى مدى تأثر الشخص فى إنتاجه بعوامل غير إنسانية .. أى إلى تأثره بما يتصل بأنانيته . لنأخذ مثلا : عدم الإبداع فى الإنتاج . نجد أنه لا يعود إلى عدم المهارة وحدها ، ولا إلى عدم التمرس فيه فقط . وإنما لعامل آخر عداه ، حتى ولو توفرت المهارة للإنسان المنتج . وهذا العامل هو عدم الإخلاص للروح الإنسانية فيه . فالذى يركز على الكسب المادى من وراء إنتاجه الفنى لا يبدع فى إنتاجه . والذى يؤثر الكم فى إنتاجه على النوع فيه ، مع توفر المهارة الفنية له : لا يبدع أيضاً فى الإنتاج . ومن ثم لا يبدع فى العمل ولا يتقنه . ومن لا يتقن العمل يعرض غيره للخداع وقبول الخدعة . ومن يعرض غيره للخداع يبعد كثيراً عن قمة الإنسانية ، بل ربما ينزل تماما عن مستواها .

ومهما كان من شأن الإنسان فى تجرده فإنه بحكم شهوته وهواه .. أى بحكم غرائزه وميوله : فإنه لا يصل فى عمله إلى القمة فى مستوى الإنسانية . أى أن عمله : إن دل من جانب على سمو فى إنتاجه .. فإنه من جانب آخر يدل على تدل فى هذا السمو ، لا يرقى به إلى القمة . فحتما سيوجد نقص ، تأثر فيه بظروف ذاته الخاصة .

ويعنى ذلك : أن التجرد التام فيما يعبر عن مستوى الإنسانية .. وفيما يضع للمستوى الإنسانى من مبادىء : ليس فى استطاعة الإنسان . وهو بالتالى خارج عن إمكانياته البشرية ، ويمثل بالأحرى قدرة فوق قدرته ، وطاقة عليا لا يصل إليها الإنسان مطلقاً . والحضارة الإنسانية التى تقوم على هذا المستوى الكامل من التجرد هى حضارة أصيلة فى تعبيرها عن الإنسانية .. وفى صلاحيتها للبشرية .. وفى اقتباس الإنسان منها ، والهداية بها : فيما يفكر .. ويريد .. وفيما يسلك .

فهل تجرد القرآن فيما عبر للإنسانية من مبادىء ؟

هل كانت مبادئه فوق إنتاج الإنسان ــ أى إنسان ــ وتصور فى ذاتها قمة الإنسانية فى أعلا مستواها ؟

هل القرآن خارق للعادة .. أى هل هو معجز للإنسان ؟ .. وهل هو آية صدق على أن المتحدث به لم يتحدث به من ذاته .. وبسبب ذاته ؟ .

* * *

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتحدث عن القرآن من ذاته .. ولا بسبب ذاته .. إنه أوحى إليه ، وكلف بتبليغه للناس . وآية ذلك :

أولا : أنه سجل أنواعاً من العتاب لرسول الله عليه السلام بسبب ما أخذ عليه فى سياسته فى الدعوة .. وما أخذ عليه كذلك فى سياسته الأخرى فى الحرب ، بما يفضل الإنسان عادة أن لا تذكر هذه المآخذ علناً وفى سجل تاريخى .

ثانياً : آنه سجل خصوصيات أسرته ، بما لا يرغب الإنسان عادة فى أن يعلمه غيره من الناس . وما سجله هنا وهناك .. يدل أكيداً على أن الرسول عليه السلام لم يتحدث بالقرآن من ذاته .. ولا بسبب ذاته . فليس هناك إنسان يتحدث من ذاته وبسبب ذاته فى إنتاجه الفكرى : وينبغى أن يتحدث عما أخذ عليه فى السياسة والتوجيه .. أو عما يسىء عادة وبحسب العرف : له فى أسرته الخاصة .

.. يسجل القرآن ما أخذ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سياسة الدعوة :

من أنه لم يتخلص تماماً ــ ويستحيل عليه ذلك لأنه بشر ــ من التأثر بالزعامة والجاه فى قومه .. وأنه من أجل ذلك مال نفسياً إلى مجاملة الزعماء والوجهاء ، ولو على حساب الضعفاء المؤمنين به .. أى ولو على حساب عواطفهم وأحاسيسهم . ويشير إلى قصة ابن أم مكتوم ، فيما يحكيه فى قول الله تعالى :

« **عبس وتولى .** (أى قطب الرسول عليه السلام وجهه وأعرض

بميله وتقسه) **ان جاءه الأعمى** . (أى عندما قدم عليه الأعمى وهو عبد الله ابن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى : المعروف بابن أم مكتوم ، وقد أخذ يكرر السؤال له : عن رغبته فى أن يعلمه الرسول شيئاً مما نزل عليه من الوحى . وهنا كان عليه السلام مشغولا ببعض وجهاء قريش فلم يعره أهمية وضاق صدره به . وممن كان مشغولا بهم : عتبة وشيبة ، ابنا ربيعة .. وأبو جهل بن هشام .. والعباس بن عبد المطلب ، وأمية بن خلف .. والوليد بن المغيرة) .

« **وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى** . (وهنا سبب العتاب على الرسول عليه السلام فى أنه لم يلتفت إلى ابن أم مكتوم . وكأنه يقول له : إن هذا الأعمى ربما يرجى منه الخير للدعوة . فقد تزداد نفسه صفاء .. وبالتالى يزداد إيماناً بها . وعندئذ لا ينسى ما تعلمه من أمرها .. ولا يقصر فى ترديده للآخرين) :

« **أما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك الا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى** » (٨) .. (أى من أمثال ما اتجهت إليهم أيها الرسول عليك صلوات الله ، وانصرفت لشأنهم عن شأن هذا الضعيف . فهؤلاء بسبب زعامتهم وجاههم .. وبسبب ما يملكون من مال : يرون أنهم فى غنى عن أن يتبعوك ويكونوا لك مؤمنين بما تدعوهم إليه . ولا يهمهم أن تتطهر نفوسهم من المظالم والعبث ، بقدر ما تهمهم : المحافظة على الجاه والزعامة . وبهذا الانصراف عن الأعمى من جانب . والإقبال على هؤلاء الوجهاء من جانب آخر : أملت فيمن لا يؤمل فيهم .. وتركت من موضع الأمل ، بشأن دعوتك . وما فعلت ذلك إلا تحت الانطباع الذى يخلقه الجاه ، وتوحى به الزعامة . وهو انطباع خادع يحمل على الظن بالانتفاع بأصحاب الجاه والزعامة ، مع أنهم الذين يربحون دائماً ويتركون غيرهم يعيشون فى أمل فيهم والتقرب إليهم) .

.. ويوضح له هذا المعنى فى صورة قانون عام : فيما يقصه فى سورة الكهف

---

(٨) عبس : ١ ــ ١٠

« **واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك ، لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا** . (أى ملجأ) **واصبر نفسك** (أى خذ نفسك بالصبر والتحمل) **مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه** (أى مع أولئكم الذين أخلصوا فى إيمانهم لله وحده ، والذين يتجهون إليه فى كل أوقاتهم ، لا يطلبون منفعة مادية . إنما يقصدون وجهه ورضاه فحسب) .

« **ولا تعد عيناك عنهم** (أى لا تتجاوز ببصرك هؤلاء المخلصين . وهم الضعفاء فى القوم) **تريد زينة الحياة الدنيا** ، (بالاتجاه إلى الآخرين من الزعماء وأصحاب الجاه) .

« **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** . (وهم أولئكم المستكبرون : أصحاب الزعامة والنفوذ) .

« **وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » (٩) ..

.. فى هذه الآيات يأمر الله سبحانه رسوله محمداً عليه السلام بأمور تحدد : معالم الطريق السليمة للدعوة :

أولا : يأمره بأن يقتصر فى تبليغه للناس على ما يوحى إليه من كتاب الله . ولا يتجاوزه بحال . لأنه لا يقبل التبديل ، كما أنه ليس وراءه مصدر آخر لتوجيه البشرية .

ثانياً : يأمره بالوقوف بجانب المخلصين فى إيمانهم من أولئكم الضعفاء ومن آحاد الناس فى قومه . فالخير كل الخير فى الوقوف بجانبهم ، وتحمل ما يثيرونه من أسئلة . ولا يترك هؤلاء ليؤمل فى الآخرين من أصحاب السيادة والنفوذ فى المجتمع . لأنه لو فعل ذلك يكون قد انصرف بالفعل عن الدعوة ، وتأثر بمفاتن الدنيا وزينتها .

ثالثاً : بأنه يحذر من أن يقع فى طاعة الكبراء والزعماء فى المجتمع . إذ أن هؤلاء لا يتبعون فى سلوكهم وتصرفاتهم إلا هوى نفوسهم .. وقد بلغ وقوعهم تحت تأثير هواهم : مبلغاً لا رجاء فى العودة منه . ومن ثم أغلقت قلوبهم دون ذكر الله ، فضلا عن الإيمان به .

---

(٩) الكهف : ٢٧ ـ ٢٩

رابعاً : إن وظيفته لا تتجاوز : دور عرض الدعوة ، مجردة عن كل مؤثر خارجي . حتى يؤمن بها من يؤمن .. ويكفر بها من يكفر : عن حرية ومشيئة إنسانية خالصة .

.. ويؤكد له مرة أخرى : طلبه فى : أن يتسع صدره عليه السلام لأولئكم الضعفاء من المخلصين فى الإيمان بدعوته .. وفى أن يتجنب ما يشعرهم بعدم الرغبة فيهم ، فيقول :

« ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين » (١٠) ..

.. وهنا يكشف له : أن الانصراف عنهم يعتبر إساءة يجازى الله عليها ظالما لا يسئل أى من الطرفين عن حساب الآخر ، وعما يرتكبه من ذنوب وآثام ، وطالما : أنه عليه السلام قد قبل من الله مباشرة : التكليف بالدعوة .. وهم قد قبلوا الإيمان بها .

ويتجلى عتاب الرسول عليه السلام : على تأثره كإنسان يعيش فى مجتمع فيه المستكبرون والمستضعفون .. وفيه أصحاب الزعامة ، والضعفاء والأرقاء : بوجاهة الوجهاء وزعامتهم : فيما يقوله سبحانه لرسوله فى سورة الإسراء :

« وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذن لاتخذوك خليلا . ولولا ان ثبتناك (أى بالإيمان) **لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا »** (أى تتأثر بهم فيما كانوا يدعونك إليه ، على نحو ما يقوله تعالى فى سورة يونس : **« واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا** (وهم هؤلاء المكيون الماديون) **ائت بقرآن غير هذا أو بدله » (١١)** (أى بحيث يكون أقرب إلى تأييد اتجاهنا فى الحياة ، وليس إلى نقده) **اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً » (١٢)**

وعلى نحو ما سجل القرآن عتابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بشأن ميله فى تأثره بزعامة قومه ووجاهتهم .. يسجل

---

(١٠) الأنعام : ٥٢ (١١) يونس : ١٥

(١٢) الاسراء : ٧٣ ـ ٧٥

كذلك عتابه له على ميله كرسول لأقربائه واستغفاره الله لهم ، رغم أنه يعلم علماً مؤكداً بما ينتهى إليه مصيرهم ، فى قول الله تعالى : **« ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم »** (١٣) .. وقد سجل عتابه له بعنوان أنه نبى .. وللتابعين له بعنوان : أنهم مؤمنون . لأن وصفه بالنبوة .. ووصفهم بالإيمان : هو مصدر المؤاخذة له ولهم ، فى توجههم إلى الله فى أن يغفر لأقربائهم فى الدم والقبيلة : شركهم وصدهم عن سبيل الله ، طالما هو عليه السلام ملتزم بدعوته .. وهم يلتزمون بإيمانهم وقد انتقلوا جميعاً من تقييم العلاقات بين الأفراد على أساس الروابط المادية القبلية .. إلى الأسس المشتركة للإيمان وللأخوة البشرية ، وهى أسس تصور القيم العليا فى حياة الإنسان .

أما باعتبار أنه إنسان غير نبى .. وأنهم أناسى غير مؤمنين : فليس فى ميلهم إلى أقربائهم بطلب الغفران لهم عن جرائمهم : سبب للمؤاخذة والعتاب .

* * *

.. وكذلك يسجل القرآن عتابه على ما يأخذه على قيادته عليه السلام : فى سياسة الحرب مع الأعداء . فيعتب عليه تبنيه لرأى أبى بكر رضى الله عنه فى أسرى « بدر » . وهو أن يفدى الأسرى مقابل مال ، يحتاجه المؤمنون إذ ذاك ، بدلا من قتلهم ، تقليلا لعدد المشركين فى الجملة من جانب ، وإرهاباً لهم فى لقاء المؤمنين من جديد فى موقعة أخرى من جانب آخر ، كما كان يرى عمر رضى الله عنه هذا الرأى . ويقول الله جل شأنه :

« ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض » (أى حتى تثبت قدماه على الأرض بقوة المدد .. وقوة الإيمان .. وقوة العدة .. وقوة السيطرة والسيادة) .

« تريدون عرض الدنيا (أى إنكم برأى الإفداء تطلبون الدنيا ، فيما لها من عرض المال) .

---

(١٣) التوبة : ١١٣

« **والله يريد الآخـرة** » (أى والله يريد لكم جزاء الآخرة ونعيمها .. وليس عرضا من أعراض الدنيا . وأنتم لا تحصلون على جزاء الآخرة إلا بتحمل المشقة فى سـبيل الإيمان بالله والدعـوة إليه . وبإقراركم للفـدية عدلتم ــ وأنت نبى ــ عما يريده الله لكم .. إلى ما يريده المفتتنون بالدنيا ، والواقعون تحت تأثير إغرائها) .

« **والله عزيز حكيم** . (ولكن أعراض الدنيا لا توصلكم إلى العـزة والسيادة ــ ولا إلى الحكمة فى التصرف . وعبادة الله عبـادة حقة هى : التقرب إليه بمحاكاة صـفات ذاته . وقـد وصف ذاته ــ من بين صـفات عديدة ــ بأنه عزيز لا يقهر .. وبأنه حكيم لا يخطىء فى حكمه وتدبيره) .

« **لولا كتاب من الله سبق** (أى لولا قضـاء من الله قد اتخذ بشـأنك وشـأن الموافقين معك على الإفـداء ، وهـو العفـو عنـكم جميعـاً) **لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم** » (١٤) .. (أى لنالكم بسبب هذا الرأى عذاب عظيم فى الدنيا أولا ، وهو استمرار تلقيـكم الإهانة من الأعـداء الطاغين .. واستمرار تلقيكم سخريتهم واستهزاءهم بدين الله ، وبالدعوة إليه ، وبكم كمستضعفين من عامة الناس) .

.. ويعتب عليه أيضاً : تصرفه عليه السلام فى موقعة « أحد » إذ أرسل الطلائع فى جيش المؤمنين يستطلعون أوضاع الأعداء المشركين . وقبل أن تعود هذه الطلائع غنم المؤمنون بعض ما للأعداء من مال ومتاع ، فقسمه عليه السلام على الحاضرين فى ميدان القتال ، دون أن يحجز للطلائع نصيبهم . ويسمى القرآن ــ فى عتبه على الرسول عليه السلام ــ هذا التصرف منه : غلولا ، تغليظاً له . إذ الغلول فى مدلوله الوصفى : هو الخيـانة فى غنائم الحرب . فيقول تعالى :

« **وما كان لنبى ان يغل** » (أى يتصرف فى غنيمة الحرب تصرفاً يشـبه الغـلول) **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيـامة ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** » (١٥) ..

---

(١٤) الأنفال : ٦٧ ، ٦٨ (١٥) آل عمران : ١٦١

. .كما يعتب عليه أنه أذن لبعض المنافقين فى التخلف عن الخـروج إلى ميدان القتال مع بقية المحاربين . وهذا الإذن كان إبقاء على ستر نفاقهم . ولكن لمصلحة الأمة : فى داخلها .. وفى ميدان القتال مع أعدائها : يجب أن يعرى المنافقون حتى يظهر أمرهم واضحاً ، فلا يصدقون بعد ذلك فيـما يقولون .. ولا يعتمد عليهم فى معرفة أسرار المؤمنين ، أو فى مباشرتهم أمراً لمصلحتهم . وقد جاء ذلك فى قول القرآن الكريم ، فى سورة التوبة :

« **عفا الله عنك** (أى ما قمت به كان غير مقبول عند الله ، فعفا عنك الآن) **لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا** (أى فى إيمانهم) **وتعلم الكاذبين .** (أى فيه أيضاً . وهم المنافقون) .

« **لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخـر أن يجاهـدوا بأموالهـم وأنفسهم ،** (أى ليسوا هم فى حاجة إلى أن يأخذوا الإذن منك فى التوجه إلى ميدان القتال .. أو إلى إنفاق الأموال فى سـبيل الله . فهم يعبرون عن إيمانهم الصادق بالجهاد بالأموال والأنفس) **والله عليم بالمتقين .**

« **انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون . ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم** (أى خروجهم إلى ميدان القتال) **فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين .**

« **لو خرجوا فيـكم ما زادوكم الا خبـالا** (أى ارتباكا فى صفوفكم) **ولأوضـعوا خلالكم** (وليبثوا بينكم بالتشكيك فى النصر ، وبنشر دواعى الهزيمة) .

« **يبغونكم الفتنة** (أى يقصدون إلى اضطرابكم) **وفيكم سماعون لهم ،** (أى وفيكم من يسمع لهم ويطيع قولهم . وعندئذ سيكون هؤلاء المنافقين عامل هزيمة لا محالة) **والله عليم بالظالمين** » (١٦) .. (وما يقصه الله عليك أيها الرسول ـ صلوات الله عليه ـ : يقصه عن علم بأولئكم الماديين المشركين الذين يعيشون فى الأرض ظلماً وفساداً . فهذا من طبعهم .. وما يتوقع منهم لكم كمؤمنين مخلصين : هو ما يتوقع دائماً من العـداوة للإيمـان ، ومن أصحابها فى أى وقت) .

---

(١٦) التوبة : ٤٣ ـ ٤٧

.. وما يعلل له القرآن عتابه هنا على الرسول عليه السلام فى إذنه لبعض المنافقين بالقعود مع القاعدين وعدم الخروج إلى ميدان القتال : يعتبر من أهم المبادىء فى سياسة الدولة والجماعة . ونظير المنافقين على عهد الرسول عليه السلام : من يحصلون اليوم من أعداء الأمة الإسلامية على جنسيه مجتمع إسلامى من مجتمعاتها .. أو أولئكم الذين يدخلون فى الحاضر فى الإسلام من هؤلاء الأعداء ، تخفيا وراء الإسلام . فهم بين المؤمنين دعاة هزيمة .. ودعاة تشكيك فى إيمانهم وفى قوتهم وفى مصيرهم .. ودعاة تخريب ، وأعوان للأعداء فى الخارج ، وعلى أمن البلاد فى الداخل .

* * *

.. ويسجل القرآن ـ بجانب تسجيل أنواع العتاب ـ أموراً من خصوصيات الرسول عليه السلام فى أسرته .. وفى حياته . الأمر الذى يدل بالتالى قطعاً على أن القرآن لم يكن حديثاً ذاتياً للرسول ولا مؤلفا له .. وبالتالى يدل على تجرد القرآن من العوامل الإنسانية الشخصية ، التى يعتبر التجرد منها فوق مستوى البشر .

فهو يسجل :

١ ـ قصة زواجه بزينب بنت جحش .

٢ ـ وشائعة الإفك ، مع عائشة رضى الله عنها .

٣ ـ والخواطر النفسية التى كانت تراود بعض الزوجات للرسول عليه السلام .

.. فعن قصة زينب بنت جحش يقول الله تعالى :

« **وإذ تقول للذى أنعم الله عليه** (أى بالإيمان) **وأنعمت عليه** (أى بالعتق وفك الرقبة . وهو زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) :

« **أمسك عليك زوجك** (وهى زينب بنت جحش ، ابنة عمة رسول الله) ، **واتق الله** (أى فلا تفارقها) .

« **وتخفى فى نفسك ما الله مبديه** (وهو أمره تعالى له باتخاذها زوجا) .

« **وتخشى النـاس** (أى فى أن لا يكـون ظاهـرك تعبيراً عن باطنك . إذ فى الوقت الذى تطلب فيـه من زيد أن يمسكها فلا يفارقها .. تخاف من اتهـام النـاس لك بالتعلق بهـا) **والله أحق ان تخشاه** ، (وذلك بأن تكون صريحاً وواضحاً) .

« **فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم** (وقـد كان زيـد متبنى للرسـول صلى الله عليـه وسلم ، حتى يقـول ابن عمر : إن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ما كنا ندعـوه إلا : زيد بن محمـد ، حتى نزل القـرآن : « **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله** » (١٧) .. **اذا قضوا منهن وطراً ، وكان امر الله مفعولا** . (ولما تزوجها الرسول قال القائلون فى ذلك الوقت : تزوج حليلة ابنه ، فأنزل الله :« **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شىء عليما** » (١٨) ..) ..

« **ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، وكان امر الله قدراً مقدوراً** » (١٩) ..

وقد كان تعليق عائشة رضى الله عنها على نزول الوحى بهذه القصة ، أن قالت : « لو كان النبى صلى الله عليه وسلم كاتما شيئاً من الوحى لكتم هذه الآية » . والقرآن وإن كان وضع تقييمه لهذا الأمر الخاص فى حياة الرسول بقوله : « **ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل** » (٢٠) .. إلا أن هذا الأمر الخاص قد يستغل ممن يبيتون السوء لرسول الله ولدعوته : كشف القرآن له ، وقد يذهبون فى تأويل الدوافع إليه : إلى أسباب تبعد عن مستوى الإنسانية .. فضلا عن بعدها عن أخلاقية الدعوة التى يدعو إليها .

.. ويسجل أيضاً واقعة الإفك ، فيقول الله تعالى :

« **ان الذين جاءوا بالافك** (وهو اتهام عائشة رضى الله عنها فى عرضها) :

---

(١٧) الأحزاب : ٥ (١٨) الأحزاب : ٤٠

(١٩) الأحزاب : ٣٧ ، ٣٨ (٢٠) الأحزاب : ٣٨

عصبة منكم ، (أى مجموعة منكم) **لا تحسبوه شراً لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرىء منهم** (أى ممن شارك فيه) **ما اكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم** (أى ذلك الذى باشر النصيب الأوفر فى اختلاقه وترويجه) **له عذاب عظيم . لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا افك مبين . لولا جاءوا عليه باربعة شهداء ، فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فى ما افضتم فيه عذاب عظيم . اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم . ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم** » (٢١) ..

.. فهذه الآيات تشير لحديث الإفك فى حق السيدة عائشة رضى الله عنها . وقد وقع فى السنة الخامسة بعد الهجرة ، إثر العودة من غزوة بنى المصطلق . فعندما تقرر الأمر بالرحيل لجيش المسلمين ، لم تكن السيدة عائشة فى هودجها ، وقد كانت فى صحبة الرسول عليه السلام فى هذه الغزوة بعد أن اقترع بين زوجاته . ولم تكن موجودة عند الرحيل . لأنها ذهبت لتبحث عن عقد لها كانت نزعته . ولم يلاحظ عند الرحيل : أنها لم تكن بالهودج ، إذ كان مغلقا وكما ذكرت هى : كانت خفيفة الجسم . فخفة جسمها لا تجعل المساعد لها عند قيام الجمل يشعر بغيبتها إن هى تخلفت . حتى وصلت القافلة إلى الموقف التالى بالطريق . وفى الأثناء وجدت عائشة أن القافلة رحلت فجلست لتستريح ، على أمل أن يعود أحد ليأخذها ، ممن يكلف بتتبع القافلة ليجمع المتروك من متاعها . حتى جاء الليل ونامت . وفى غداة اليوم التالى وجدها أحد المهاجرين ، وهو صفوان بن المعطل . وقد كان هو المكلف بتتبع سير القافلة حتى إذا وجد شيئا ترك ، نقله معه ، فنزل من على بعيره وأركبها عليه وسار على قدميه يقوده بها .

وهذا الحادث أعطى فرصة للأعداء من المنافقين للتقول فى شأن عائشة بغير حق . ويقال : إنه كان على رأس المتقولين عبد الله بن أُبَىّ . إذ عندما مر صفوان بهودج عائشة : عليه ، وهو فى جماعة من قومه قال : من هذه ؟ . فقالوا : عائشة . فقال : والله ما نجت منه ولا نجا منها ، وقال : امرأة نبيكم باتت مع رجل ، حتى أصبحت ، ثم جاء يقودها .

---

(٢١) النور : ١١ ـ ١٦

والآيات القرآنية هنا تعرض لهذا الحادث على أنه ليس شراً لمن أسيىء إليهم ، وهم الرسول عليه السلام ... وأبو بكر ... وعائشة .. وصفوان . بل تـرى فيـه الخـير : « **لا تحسبوه شراً لكم ، بل هو خير لكم** » .. لأنه اتضح أولا : أنه افتراء مبالغ فيه . كما كشف عن أعداء مستترين وراء عنوان الإيمان ، يضمرون عداءهم للدعوة .. ولصاحبها عليه السلام .

وفى سبيل كشف الافتراء .. والعداوة المقنعة بالإيمان ، أوحى الله بقوله : « **لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنـات بانفسـهم خيراً وقالوا هـذا افك مبين** .(أى كان ينبغى أن يكون موقفهم من شائعة الإفك هو هـذا الموقف) **لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ، فاذ لم يأتوا بالشـهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون** » .. والمعنى : ألم يكن الأولى بكم ــ أيها المؤمنون ــ أن تكون لديكم فى أنفسكم صورة خيرة عن علاقات بعضـكم ببعض ، تدفع من أول الأمر : هذا الكذب ، وتعلنون على رؤوس الأشهاد : أنه افتراء واضح ؟ وألم يكن لديكم علم بأن مثل هذا الأمر ــ وهو القذف والاتهام فى العرض ــ لا يثبت إلا بأربعة شهداء ؟ . فإذ لم يكن هناك شهداء أربعـة فهو كذب فى ذاته ، يحد قائله ومروجه ؟ .

ولكن مع ذلك استغل هذا الحادث أسوأ استغلال ، حتى ضاق صـدر الرسول عليه السلام بعائشة رضى الله عنها .. وفترت العـلاقة بينهـما ، مدة من الزمن ، إلى أن كشف الوحى حقيقة الأمر .

ولو تدخل العامل الشخصى فى كتابة القرآن ما ترك إنسان ما لقلمه : أن يكتب عن علاقته بمن هى أحب إليه من زوجاته ، مثل ما سجل القرآن هنا فى وحيه للرسول عليه السلام فى قصة الإفك واتهام عائشـة رضى الله عنها ، فى عرضها .

كما يسجل القرآن ــ بجانب قصة زينب بنت جحش ، وقصة الإفك بالنسبة لعائشة ، مما يدخل فى نطاق خصوصيات الأسرة ــ ما كان يراود بعض زوجاته من الرغبة فى الاستمتاع بمتع الدنيا .. حتى جاء الوحى يطلب للرسول عليه السلام أن يخير زوجاته : بين البقاء معه وتحمل قسوة الحياة

فى سبيل الدعوة .. أو المفارقة وعدم الالتزام بوضعها القائم . وقد جاء ذلك فى قول الله تعالى : « **يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها** (كما يحكى : أن بعضهن أردن الثياب .. وزيادة النفقة . وضاق بما طلبن : صدر رسول الله عليه السلام) **فتعالين أمتعكن** (أى أعطيكن متعه الطلاق) **وأسرحكن سراحاً جميلا** . (أى أطلقكن فى إحسان وتهذيب) .

« **وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة** (أى تردن القيم العليا وتكن فى ذلك قدوة حسنة ، وتحصلن فى الآخرة على جزاء الله) **فان الله أعد للمحسنات منكن** (وهن اللائى يحسن بالصبر فى سبيل الدعوة ، وبمساعدة الرسول عليه السلام على أدائها ، وبمنعهن عنه كل ضيق صدر ، بسبب مشاكل الحياة المادية) **اجراً عظيماً** » (٢٢) ..

والرغبات المادية التى كانت تراود بعض زوجات الرسول عليه السلام : هى رغبات بشرية طبيعية لا يدل كشفها للرأى العام على شىء غير عادى فى خصوصيات أية أسرة ، لو لم يكن ربها .. ولو لم يكن الزوج هو رسول الله ، بهذا العنوان . أما وإنه الرسول عليه السلام فالمفروض أن تأخذ كل زوجة له : نفسها بسلوك ، يعد مثلا طيباً لغيرها من المؤمنات . ولذا جاء إنذار الله لهن قاسياً : فى قوله :

« **يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيرا . ومن يقنت منكن** (اى تطع) **لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقاً كريماً** » (٢٣) ..

* * *

والآن لدينا دليلان واضحان ــ وهما تسجيل العتاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سياسته : فى الدعوة .. وفى سياسة الحرب مع الأعداء من جانب . والكشف عن بعض الأسرار الخاصة فى أسرته عليه

---

(٢٢) الاحزاب : ٢٨ ، ٢٩ (٢٣) الأحزاب : ٣٠ ، ٣١

السلام ، من جانب آخر ـ هذان الدليلان يدلان : على أن القرآن تجرد عن كل البواعث والميول الشخصية .. وأنه موضوعى ، بقدر ما يبعد عن الأمور الذاتية . وتجرد أى عمل عن البواعث والميول الشخصية لا يدل فقط على موضوعيته . وإنما يدل مباشرة على تفوقه .. إلى درجة الإعجاز .. وبالتالى على صلاحيته التامة لبناء الحضارة الإنسانية .

* * *

● **موضوعية المبادىء وتجردها :**

فإذا أضيف إلى هذين الدليلين .. أو إلى هاتين الظاهرتين : موضوعية مبادئه ، وتجردها تجردا تاما عن الميول والبواعث الشخصية .. فإن إعجاز القرآن يكون عندئذ حقيقة ملموسة ، لا ينكرها إلا من لا يفرق بين الموضوعى .. والشخصى : فى التفكير .. وفى العمل الإرادى .. وفى تقييم الجمال فى الحياة . ومن هذه المبادىء الموضوعية :

اولا : إن دعوة القرآن تؤمن برسالة الحضارة السابقة ، قبل عهد الرسول عليه السلام . يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً » (٢٤) ..

.. فسوى فى الإيمان برسول الله محمد عليه السلام الآن ، وبالرسل السابقين عليه .. وبالكتاب الذى هو القرآن ، والموحى به إلى رسول الله ، وبالكتاب الآخر السابق عليه فى أى عهد من عهود الرسالة . لأن رساله الله فى أى عهد تستهدف ما تستهدفه أية رسالة . وهو معاونة الإنسان على الانتقال من مستوى الجاهلية إلى مستوى الحضارة الإنسانية :

« يا بنى آدم اما ياتينكم رسل منكم (فى أى عهد) **يقصون عليكم آياتى فمن اتقى** (فمن تجنب انحرافات الجاهلية) وأصلح (بسلوك الهداية الإلهية .. وهى الطريق إلى الحضارة البشرية) **فلا خوف عليهم ولا هم**

---

(٢٤) النساء : ١٣٦

يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » (٢٥) ..

وثانياً : إنها تدعو إلى الترابط بين الأفراد على أساس القيم العليا فى حياة الإنسان .. وليس على أساس العرق .. أو القبيلة . يقول الله تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، (وحبل الله هو هدايته التى تتمثل فى القيم الإيمانية العليا المستمدة من صفات الله سبحانه وتعالى . والاعتصام بهذه القيم هو الترابط والتماسك على أساس منها) .

« واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء (وذلك بسبب الترابط على أساس القبيلة والدم فيها . وهو رباط مادى) **فألف بين قلوبكم** (على أساس الإيمان بالله مركز القيم العليا) **فاصبحتم بنعمته اخواناً** (أى فى الإنسانية والحضارة البشرية) .

« وكنتم (أى على عهد القبلية وتقاليدها ، والتمسك بهذه التقاليد) **على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ،** (فالقبلية كانت مصدر الحروب والخصومات بين القبائل بعضها وبعض . ولكن بفضل الإيمان جاء السلام والصفاء النفسى للعلاقات بين أفرادها) **كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (٢٦) ..** (وهداية الناس بآيات الله وكتابه هى اتباع خطوط الحضارة الإنسانية فيه ، والابتعاد عن ضلال الجاهلية) .. وكذلك يقول فى فضل الله على تآلف المؤمنين وترابطهم ، بعد الخصومات التى كانت مستمرة بينهم ، وتطمين الرسول على تماسك المؤمنين فى مواجهة مؤامرة الأعداء وخداعهم :

« والف بين قلوبهم ، (أى قلوب المؤمنين) **لو انفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ،** (برباط العقيدة والإيمان بدلا من الرباط المادى وهو رباط الدم والقرابة) **انه عزيز حكيم » (٢٧) .**

---

(٢٥) الأعراف : ٣٥ ، ٣٦

(٢٦) آل عمران : ١٠٣

(٢٧) الأنفال : ٦٣

.. ولا شك أن الدعوة إلى الترابط على أساس الإيمان بالقيم العليا التى تمثل سمو الحياة البشرية : فوق لحمة الأسرة .. والقبيلة .. والشعب : هى دعوة خالصة لوجه الإنسانية ، ومجردة عن كل أثر لأى عامل شخصى .

وثالثاً : إنها تؤثر الاستمرار فى الترابط والبقاء فى دائرته على أساس هذه القيم .. وليس على أساس العصبية الأسرية .. والقبلية .. والشعوبية . يقول القرآن الكريم : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء** (أى أصدقاء يخلص بعضهم لبعض .. ويشير بعضهم على بعض) **ان استحبوا الكفر على الايمان** » (أى إن آثروا البقاء فى الجاهلية .. ولم يرغبوا فى الانتقال من مستواها .. إلى مستوى الحضارة البشرية) **ومن يتولهم منكم** (أى يصادقهم منكم) **فاولئك هم الظالمون** .

« **قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم** (والعلاقة بين هؤلاء جميعاً هى علاقة الدم والقرابة الأسرية) **وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله** (أى إن كنتم تؤثرون : العصبية الأسرية .. أو المحافظة على المال ، أو على إنمائه .. أو الرتابة فى المعيشة — وهى جميعها تصور خطوط الجاهلية — على القيم العليا فى الحياة ، التى يمثلها الإيمان بالله ، وبرسوله .. كما يمثلها الجهاد بالمال أو بالنفس فى سبيل هذه القيم ، والتحول إلى مستوى الحضارة البشرية) **فتربصوا حتى يأتى الله بأمره** ، (أى انتظروا حتى يأتى الأجل المحدد لسقوط مجتمعكم ، وقيام مجتمع إنسانى حضارى آخر بدلا منه) **والله لا يهدى القوم الفاسقين** » (٢٨) .. (وطالما لا يهدى الله أولئكم الذين يخرجون فى وضوح : عن الطريق السوى فى الحياة : فانهم لا يستقرون فى رياسة ولا فى زعامة : « **وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا امثالكم** » (٢٩) .. بل يخلفهم أولئكم الذين يؤمنون بالله وبالقيم العليا فى الحياة) .

.. واستمرار الترابط على أساس من القيم العليا إن كان ظاهرة تدل على التجرد عن العوامل الشخصية .. فإن هذا الترابط على أساس منها أبقى

---

(٢٨) التوبة : ٢٣ ، ٢٤ (٢٩) محمد : ٣٨

وأنقى من الترابط على أساس العصبية .. أو المال ، فالعصبية فى الأولاد ، أو المال فى جمعه واكتنازه : كلاهما ينطوى على عامل التفرقة ، كما ينطوى على عامل التجميع . يقول الله سبحانه :

« **يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ، وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم . انما أموالكم وأولادكم فتنة ،** (أى مصدر تجربة واختبار) **والله عنده أجر عظيم . فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيراً لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » (٣٠) .. (والمفلحون إذن هم الذين يترابطون على أساس الإيمان بالقيم العليا .. وليس على أساس العصبية .. أو المال) .

رابعاً : إنها تدعو إلى توفير الاعتبار الإنسانى ، والكرامة البشرية لكل فرد ، بغض النظر عن : اللون .. والنسب .. والعرق .. والجاه .. والمال : يقول الله تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم** (أى لا يعب بعضكم بعضاً) **ولا تنابزوا بالألقاب** ، (أى لا تداعوا بالألقاب المسيئة التى يحس المدعو بها : بأذى أو شين .. أو ذم له عندما يدعى بها) **بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ،** (**فالإيمان** من شأنه أن يسوى بين المؤمنين فى الاعتبار البشرى . والتداعى بالألقاب المسيئة من شأنه أن يعيد الفجوة فى هذا الاعتبار بينهم . وإذن التنابز بالألقاب : فسق وخروج عن مطلوب الإيمان) **ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا** (أى لا تبحثوا عن أخبار بعضكم بعضاً) ، **ولا يغتب بعضكم بعضاً** ، (والغيبة : أن يقال فى الرجل من خلفه ما فيه من عيب . فإذا قيل من خلفه ما ليس فيه : فهو بهت) **أيحب أحدكم أن يأكل لحم اخيه ميتاً فكرهتموه ، واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم** » (٣١) ..

---

(٣٠) التغابن : ١٤ ـ ١٦ (٣١) الحجرات : ١١ ـ ١٢

.. ومن مستلزمات توفير الاعتبار البشرى لكل فـرد فى المجتمع : أن ينتهى الإنسان فيه :

عن أن يسخر بغيره .. وعن أن يعيبه .. وأن يلقبه بما يكره .. وعن أن يحدد موقفه منه على أساس الظن وحده .. وعن أن يتجسس عليه ، ويبحث ليعرف أسراره .. وأن يقول من خلفه ما فيه من نقص وعيب . لأن كل واحد من ذلك من شأنه : أن يعكر صفو العلاقات الطيبة التى أحدثها الإيمان بالله ، والانتقال المشترك إلى مستوى الحضارة الإنسانية . ويقول الله تعالى أيضاً :

« **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا** (أى حتى تحسوا بالأنس من سكان هذه البيوت وبالترحيب بقبولكم فى منازلهم) **وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ، هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيهـا متاع لكم ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** » (٣٢) ..

.. وضمن القرآن بذلك : حرمة لسكن الشخص ، بعـد أن أكد حرمة الشخص ذاتها . وهذا .. وذاك مـن عوامل توفير الكـرامة الإنسـانية للشخص فى المجتمع .

خامساً : أنها تدعو إلى التفاضل بين الأفراد على أساس من التمايز بينهم فى مستوى الإنسانية وحده .. وليس على أى أساس مادى آخر ، كالعرق .. أو القبيلة . يقول تعالى :

« **يا أيهـا النـاس انا خلقنـاكم من ذكـر وانثى وجعلنـاكم شـعوباً وقبائل لتعارفوا** ، (أى إذا كنتم وجـدتم جميعـاً من ذكـورة وأنوثة ، وتساويتم فى ذلك .. ثم جعلتم فصائل من شعوب وقبائل ، وارتبطتم برباط الدم والقربى بناء على التناسـل فيـما بينـكم .. فليس مؤدى ذلك : أن تختلفوا .. وتتصارعوا فيما بينكم .. وأن يخاصم بعضكم بعضاً . وإنمـا مؤداه : أن تجتمعوا على رباط آخر ، فوق رباط الدم والقربى . وهو رباط الإيمان بالله ، مركز الحضارة الإنسانية . فإذا انتقلتم عن طريق الهداية ..

---

(٣٢) النور : ٢٧ ـ ٢٩ .

إلى المستوى الحضارى فى تفكير الإنسان وسلوكه : ترابطتم على أساس القيم العليا فى حياة الإنسان . والترابط على أساسها : أدوم وأنقى) ؛ « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** ، (ولذا : فالتفاضل بينكم منذ الآن يكون بمقدار المستوى فى تحقيق هذه القيم الذى يبلغه أى واحد منكم . وليس على الأساس المادى السابق من : المال .. والجاه .. والزعامة .. وعصبية الأولاد .. وقرابة الدم فى الحسب والنسب) **ان الله عليم خبير** » (٣٣) .. (والله وحده هو الذى يعلم ما أبقى وأنقى فى حياة الإنسان ، مما هو مشتت ومفرق .. وهو مع علمه التام . الخبير أيضاً بحقائق كل ما يوصى به) .

سادساً : إنها : تبرز المسئولية الفردية . وعدم قبول المسئولية الجماعية :

« قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل » (٣٤) ..

.. فأبرز مسئولية الفرد فى إيمانه بالله .. وانتقاله بذلك إلى المستوى الحضارى الإنسانى ، فى التفكير .. وإدراك الجمال فى الحياة والعمل الإرادى . وكذلك أبرز مسئوليته عن حيرته وبقائه فى جاهليته . والرسول المبلغ لوحى الله لا تتجاوز رسالته : تبليغها إلى الأفراد . وبذلك لا يشارك غيره : المسئولية فى أى إتجاه يسلكه ، ويقول كذلك :

« ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وان تدع مثقلة الى حملها (أى إن دعت نفس تحس بثقل حملها من الذنوب : غيرها لتعاونها فيما تحمل فتشاركها بعض ذنوبها) **لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى** » (٣٥) .. (فلا تستجاب لما طلبت وتظل هى متحملة وحدها ما ارتكبته من أخطاء وذنوب) .

وكما يقول : « **وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه** ، (وهو كتاب عيسى وموسى) **ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن**

---

(٣٣) الحجرات : ١٣

(٣٤) يونس : ١٠٨

(٣٥) فاطر : ١٨

الهدى بعد اذ جاءكم ، بل كنتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً ، (أى كانت محاولاتكم الخبيثة أنتم أيها المستكبرون ، المستمرة بالليل والنهار : هى التى أضلتنا عن الهدى بعد إذ جاءنا القرآن) .

« وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا ، (أى جميعاً ما بين مستكبرين .. ومستضعفين) **هل يجزون الا ما كانوا يعملون » (٣٦) ..**

.. ففى هذا الحوار بين الزعماء والرؤساء من جانب .. والتابعين لهم فى المجتمع من جانب آخر : تتجلى المسئولية الفردية .. وأن ليس للإنسان عذر ما فيما يقترفه . وبالأخص فيما يبقيه فى دائرة الجاهلية ، ويحول بينه وبين الانتقال إلى المستوى الحضارى البشرى . وربما كان يفهم .. أو يعد مقبولا فى إطار الاعتذار : قبول المستضعفين فى المجتمع : نصح المستكبرين ، أو أمرهم بالانصراف عن هداية الله لأنهم واقعون تحت تأثيرهم . ولكن جعل الأغلال فى أعناق الفريقين كجزاء لهما لم يترك شبهة فى المسئولية الفردية التامة لكل فريق منهما .

سابعاً : إنها : تدعو إلى أن تكون سرية أى اجتماع بين اثنين فأكثر على الخير وحده .. أى على عدم الاعتداء على الأقل على الآخرين ، يقول تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى ، واتقوا الله الذى اليه تحشرون » (٣٧) ..

.. فينهى عن التآمر وتدبير الاعتداء .. ويأمر بأن تكون سرية أى اجتماع متمحضة للخير والمصلحة العامة . يؤثر السلام والصفاء فى علاقات الأفراد فى المناجاة وأحاديث الناس فى سرية ، على التدبير للهدم : فى « الخلايا .. وتحت الأرض » .

ثامناً :تدعو إلى أن تكون الرغبة فى السلام .. مصاحبة للإعداد لرد الاعتداء ، أى لا يكون هناك إعداد لقوة المجتمع ، غير مشفوع هذا الإعداد بإعداد نفسى آخر للسلام . يقول تعالى :

---

(٣٦) سبأ : ٣١ ـ ٣٣ (٣٧) المجادلة : ٩

« **واعدوا لهم** (أى للأعداء) **ما استطعتم من قوة** (وهى القوة العددية .. والنوعية) **ومن رباط الخيل** (وهى الحصون والقلاع) **ترهبون به عدو الله وعدوكم** (أى أن هدف هذا الإعداد ليس : الاعتداء .. ولا الفتح والتوسع . وإنما حمل العدو على التفكير والتروى عندما تسول نفسه الاعتداء .. وإنما إرهابه) **وآخرين من دونهم لا تعلمونهم** (أى ومع أعداء الله وأعداء المؤمنين الصرحاء المكشوفين لكم : أعداء آخرون متسترون من ورائهم . وهم معهم بالمشاركة فى إعدادهم وفى دفعهم ضد المؤمنين) **الله يعلمهم** ، (لأنه يعلم الظاهر والباطن .. والصريح والخفى . والمنافقون فى عداد هؤلاء الأعداء المتسترين) .

« **وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون** . (والخطاب للأثرياء فى الأمة للإنفاق على إعدادها فى مواجهة الأعداء . إعداداً مادياً) .

« **وان جنحوا للسلم فاجنح لها** (وهنا يقرن القرآن حمل المؤمنين على الميل إلى السلام وقبوله ، بطلب الإعداد لأنفسهم لمواجهة عدوان الأعداء : مما يعبر هذا القرآن على أن الهدف الأصيل للدعوة إلى الإسلام : هو السلام . ولكنه سلام القوى ، وليس سلام الضعيف .. سلام المتيقظ ، وليس سلام الغافل .. سلام من يضحى بمتع الدنيا ليعيش عزيزاً ، وليس سلام من يستذل من أجل الاستمتاع بهذه المتع) **وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم** . (ولكى تشجع الدعوة الإسلامية المؤمنين إلى الميل إلى السلم وإلى قبوله : تطلب إليهم أن يعتمدوا على الله عند قبولهم للسلام ، ويبعدوا عنهم القلق من أجل التفكير فى خداع الأعداء وغدرهم . فالله سميع لكل همسة منهم .. وعليم بمجرى كل أمر يصدر عنهم . وطالما المؤمنون يأخذون أنفسهم بما يدعوهم الله إليه من غير تقصير .. فخداع أعدائهم لا ينال منهم إطلاقا) ..

« **وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين** » (٣٨) .. (أى فالله هو المتكفل برد خداع الأعداء وبنصر المؤمنين

---

(٣٨) الأنفال : ٦٠ ـ ٦٢

عليهم . إذ خديعة الأعداء ستكون مكشوفة للمؤمنين ، إذا لم يوالوهم .. وإذا أخذوا منهم حذرهم .. وبقوا فى قوة فى مواجهتهم .. وآثروا ولاء بعضهم لبعض ، على أن يميلوا إليهم . وطالما تكتشف الخديعة فأثرها سلبى) .

تاسعاً : تدعو إلى تكافؤ إنتاج الإنسان وعمله من أجل الرزق فى الدنيا من جانب .. وعبادته لله من جانب آخر ، يقول تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » (٣٩) ..

.. فسوى القرآن فى الأمر هنا : بين وجوب أداء صلاة الجمعة إذا حل وقتها .. ومباشرة السعى بعد الانصراف من أدائها من أجل الرزق فى ضروب الحياة المختلفة : تجارة .. أو زراعة .. أو صناعة .. أو إدارة وإشراف على عمل آخر . كما أوضح أن العبادة والمحافظة عليها مقدمة ضرورية لنجاح الإنسان فى حياته **« واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون »** .. سواء أكان هذا النجاح فى تحصيل الرزق .. أو فى حسن العلاقة بين إنسان وآخر ، فى مجتمعه .

وهذه المساواة فى الحرص على الأداء : بين العبادة .. والسعى من أجل الرزق : تعطى الدليل على إيجابية الدعوة الإسلامية فى حياة الإنسان .. وعلى أن التوكل على الله الذى يطلب من الإنسان المؤمن بالله : ليس طريقاً سلبياً . أى ليس تواكلا ، أو إغضاء عن العمل . كما تعطى الدليل من جانب آخر على أن المتع المادية ليست أموراً تنبذ إنما هى أهداف تحصل ليستمتع بها الإنسان ، ولكن لا ليسرف فى الاستمتاع بها : **« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين »** (٤٠) ..

عاشراً : إنها تدعو إلى أن يكون : العدل .. والشورى .. والاطمئنان إلى عدم اتباع الهوى ، من مقومات الحكم الصالح ، فيقول القرآن الكريم : **« ان الله يأمر بالعدل والاحسان »** (٤١) .. فيأمر بالعدل فى كل جانب من

---

(٣٩) الجمعة : ٩ ، ١٠ (٤٠) الاعراف : ٣١

(٤١) النحل : ٩٠

جوانب الحياة . ثم على وجه الخصوص يأمر بالعدل فى الحكم . فيقول :

« **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها** (وهى أمانة العمل وأداؤها بالدقة فيه .. وأمانة العهد والوعد ، وأداؤها بالوفاء بأى منها . وأمانة الأسرة وأداؤها بالإحسان فى رعايتها .. وأمانة الرأى وأداؤها بالنصح فيه .. وأمانة السلوك وأداؤها بالاستقامة فيه) وإذا حكمتم بين الناس **أن تحكموا بالعدل** » (٤٢)

ويأمر بالعدل فى المعاملة فيقول : « **وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفساً الا وسعها** » (٤٣) ..

وبالعدل فى القول ، فيقول : « **وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى** » (٤٤)

وبالعدل فى الشهادة ، فيقول : « **يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله** (مقيمين لأوامره ومطيعين لها) **شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا** ، (أى لا يحملنكم بغض قوم بسبب كفرهم مثلا على عدم العدل نحوهم فتعتدون عليهم) **اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، ان الله خبير بما تعملون** » (٤٥) ..

وبالعدل : بين ما يفعله الإنسان .. وما يتحدث عنه ، فيقول : « **يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون . ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص** » (٤٦) (أى لا يحب الاعوجاج بالتحدث عن فعل كالمشاركة فى القتال مثلا .. وعدم وقوع هذا الفعل) .

وبالعدل فى العهود ، والعقود ، بالوفاء بها : « **وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم** » (٤٧) .. (أى ما يجب أن يطلب فيه الوفاء من العهود هو ذلك النوع منها الذى يستهدف الخير .. والمصلحة العامة .. أو هو عهد الله) .

« **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** » (٤٨) ..

---

(٤٢) النساء : ٥٨
(٤٣) الأنعام : ١٥٢
(٤٤) الأنعام : ١٥٢
(٤٥) المائدة : ٨
(٤٦) الصف : ٢ ـ ٤
(٤٧) النحل : ٩١
(٤٨) المائدة : ١

.. أما الشورى فيتحدث عنها القرآن فى صفات المؤمنين ، على أنها جزء لا يتجزأ من قوام حياتهم ، فيقول : **« والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم »** (٤٩) .. (وهو أمر الأسرة بين أفرادها .. وأمر الجيران بعضهم مع بعض .. وأمر الناس مع ولاتهم وحكامهم) .

كما يطلب إلى الرسول عليه السلام باعتباره قائداً وحاكماً : أن يشاور من جديد : النفر من المؤمنين الذى كان من أسباب هزيمة المسلمين فى غزوة « أحد » بعد أن يعفو عنهم .. ويستغفر لهم الله ، على ما وقع منهم من خطأ ، فيقول :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ، (أى لا تقسو عليهم واستمد موقفك هذا إزاءهم من صفة الرحمة التى هى بالغة حد الكمال فى المولى سبحانه) . **ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ،** (أى فى شأن القتال عند خروجك مرة مقبلة مع المؤمنين جميعاً إلى مواجهة الكفار) **فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين »** (٥٠) ..

.. فمع خطأ هذا النفر فى شأن المؤمنين جميعاً : فإن القرآن يطلب من الرسول عليه السلام من جديد : أن يستطلع رأيه . ولو أن خطأهم كان نقداً ذاتياً لوضح الأمر فى طلب مشاورتهم من جديد . ولكنه خطأ كان يرجع إلى الانصراف عن أهداف الدعوة فى ميدان القتال .. كان يعود إلى مغانم الحياة الدنيا فيه . فطلب استطلاع رأيهم مع ذلك يدل على قيمة الشورى فى حياة الناس وأثرها فى الترابط فى العلاقات بين أفرادهم .

حادى عشر : إنها تستنكر الاحتراف بالقيم العليا :

إذ أخطر شىء على هذه القيم هو الاحتراف .. وجعلها وسيلة ، وليست هدفاً فى ذاته . والاحتراف بها يكون عادة من الداعين لها ، والحاملين لواء نشرها . وهنا يحذر القرآن أن يتحول أمر المؤمنين إلى الاحتراف بهذه

---

(٤٩) الشورى : ٣٨ (٥٠) آل عمران : ١٥٩

القيم ، على نمط ما كان عليه أحبار اليهود .. ورهبان النصارى ، كما جاء فى قول الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا ان كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل** (وذلك عن طريق تدخلهم فى تأويل ما يقع عليه : اسم الحلال .. أو اسم الحرام .. أو عن طريق إخفائهم بعض تعاليم الكتاب .. وإظهار البعض الآخر ، على أن يؤجروا على ما يقولون) **ويصدون عن سبيل الله** » (٥١) .. (واحترافهم بالقيم العليا .. وأكلهم أموال الناس بالباطل عن طريق هذا الاحتراف : هو فى حقيقة أمره : صد ، وإبعاد عن سبيل الله . لأن الاحتراف الآن سبيل معوجة . بينما سبيل الله هى دائما السبيل السوى) .

والقيم العليا التى يتجنب الاحتراف بها ليست فقط هى التى يحملها أصحاب رسالة الدين . بل هى التى يحملها فى الأمة كذلك غيرهم : كالأطباء .. والمعلمين .. والقضاة .. ورجال الإدارة .. الخ .

فالأطباء والمعلمون .. يحملون علم الإنسانية فى تطبيب المرضى .. وتعليم الناشئة . فإن هم استغلوا حاجة المريض إلى الشفاء .. والصبى إلى التعليم ، وجعلوا العلاج والتعليم حرفة للاتجار والإثراء : كانوا كالأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل .

والقضاة ورجال الإدارة .. يحملون علم العدل وإحقاق الحق فى قضائهم .. وإدارتهم . فإن هم احترفوا بالعدل وقبلوا الرشوة كانوا كذلك كالأحبار والرهبان فى أكل أموال الناس بالباطل .

ورجال الجيش يحملون علم الدفاع عن الأمة وعن قيمها العليا وتثبيت شخصيتها المستقلة . فإن هم أثروا من حرفة الدفاع ولم يتمثل فى نفوسهم الإيمان القوى بالدفاع عما يجب أن يدافعوا عنه .. كانوا كذلك كالأحبار .. والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل .

وهكذا .. كل من يحمل قيمة عليا فى عمله ونشاطه واحترف بها : فهو آكل لأموال الناس بالباطل .

---

(٥١) التوبة : ٣٤

ثانى عشر : إنها : تدعو إلى الرجوع بالخصومة فى الرأى . إلى المصدر الأصيل للدعوة .. وليس لأقوال بعض المؤمنين فيه . فيقول الله تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** (وذلك باتباع كتاب الله .. وقدوة الرسول عليه السلام : قولا .. أو عملا) **وأولى الأمر منكم** ، (إن أدى هؤلاء الأمانة فى ولايتهم للمؤمنين ، وحكموا بين الناس بالعدل ، طبقاً لما فى كتاب الله . وجاء هذا الشرط فى آية سابقة على هذه الآية .. فى قول الله تعالى : « **ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** » (٥٢)) **فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله** (أى إلى كتاب الله) **والرسول** (أى إلى قدوة الرسول عليه السلام) **ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ، (أى إن بقيتم على إيمانكم بالله وبعدكم عن اتجاه المادية . وهو ذلك الاتجاه الذى يقوم على إنكار الإيمان بالله .. وباليوم الآخر ، تحت التأثر بإغراء متع هذه الحياة الدنيا) **ذلك خير وأحسن تأويلا** » (٥٣) (أى والالتجاء فى خصومة الرأى إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام : هو خير حل لمشكلتها بين المؤمنين ، لأنه رجوع إلى مصدر الإيمان نفسه .. ذلك المصدر الذى هو بعيد كل البعد عن الهوى والغرض .. والذى تجرد شأنه تماماً للمصلحة العامة) .

ثالث عشر : إنها تدعو الأمة إلى التدخل بالإصلاح أولا .. ثم بالقتال ثانيا ، إذا اشتبكت طائفة بأخرى فيها : فى خصومة عنيفة أو قتال سافر . والتدخل بالإصلاح يراعى فيه العدل المطلق .. أى تراعى فيه المحافظة على الحقوق والواجبات التى لكل طائفة ، حسبما يقررها القرآن . والتدخل بالقتال يكون ضد الطائفة المعتدية منهما .. إلى أن ترجع عن اعتدائها ، فيصلح بينها وبين الأخرى التى كانت تتقاتل معها . يقول الله تعالى :

« **وان طائفتان من المؤمنين** (أى مجموعتان من المؤمنين) **اقتتلوا فاصلحوا بينهما** ، (أى فالطريق إلى وقف القتال بينهما هو التدخل بالإصلاح بين الطائفتين . فإن كانت مثلا : طائفة موسرة تشح بالإنفاق مما تملك .. وطائفة أخرى محرومة لا تأخذ حقها من أموال الموسرين : اشتبكتا فى

---

(٥٢) النساء : ٥٨ (٥٣) النساء : ٥٩

قتال بينهما فالحل هو الإصلاح طبقا لما جاء فى القرآن من حمل الموسرين على الإنفاق ، على نحو ما قيل فى صفات المؤمنين فى قول الله تعالى : **« والذين فى اموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم »** (٥٤) . وحملهم يكون بالنصح . أو بالقتال . كما صنع أبو بكر رضى الله عنه فى قتال مانعى الزكاة . وعلى هذا النحو : الإصلاح ما بين صاحب العمل .. والعامل . فلو اشتبكت طائفة العمال فى خصومة أو فى قتال مع أصحاب العمل : فيجب الإصلاح بين الطائفتين بإعطاء العمال ما لهم من حقوق .. وفرض أداء ما يجب عليهم من واجبات نحو أصحاب العمل . ولو اعتدت إحدى الطائفتين على الأخرى فيجب على المسلمين أن يقاتلوا الطائفة المعتدية حتى تفىء إلى أمر الله ، ثم يصلح بين الطائفتين) ، **« فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ، ان الله يحب المقسطين »** (٥٥) ..

.. وهذا التدخل بالإصلاح أولا .. ثم بالقتال إن كان هناك اعتداء ، يجىء مؤسسا على ما يذكره القرآن بعد ذلك فى قول الله تعالى :

« انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (٥٦)

.. والأساس الذى يذكره هنا هو أساس « الأخوة » فى الترابط بين المؤمنين جميعاً . ومقتضى هذه الأخوة : أن لا يشجع الاعتداء من فريق على فريق .. وإنما يؤخذ حق المظلوم من الظالم منهما . والمسلمون جميعاً عدا الطائفتين المتنازعتين : ضد الاعتداء .. ومع إنصاف المظلوم من الظالم . وفى مقدمة المسلمين : ولاتهم وحكامهم .

والقرآن لكى يحافظ على هذه « الأخوة » : استرسلت آياته ــ بعد هذه الآية ــ فى نهى المؤمنين عن كل ما يمس هذا الأساس ، فى أية صورة . فطلبت توفير الاعتبار البشرى ، كما شرح سابقا .. وتجنب الظن فى المعاملة .. وتجنب التجسس فى معرفة الأخبار .. وتجنب الغيبة . ثم أكدت : أن المستوى فى تخير ذلك كله وفى إتقانه هو وحده معيار المفاضلة بين الأفراد : **« ان أكرمكم عند الله أتقاكم »** (٥٧) ..

---

(٥٤) المعارج : ٢٤ ، ٢٥
(٥٥) الحجرات : ٩
(٥٦) الحجرات : ١٠
(٥٧) الحجرات : ١٣

رابع عشر : إنها تدعو إلى الحفاظ على النفس .. والمال . أى تدعو إلى المحافظة على حرمة النفس .. وحرمة المال ، تدعو إلى الأمان : فلا تمس نفس بسوء .. ولا يمس مال باعتداء عليه .. تدعو إلى تجنب جريمتين يترتب على أى منهما : فناء المجتمع :

« **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل ، الا ان تكون تجارة عن تراض منكم** » (والأساس فى التجارة أن يكون فيها ربح .. أى فيها أكثر من مماثلة القيمة بين الطرفين . واستثناء التجارة هنا من أكل أموال الناس بالباطل ، معناه : جواز الربح : فى تحصيله من البائع ، وفى قبوله من المشترى . أى شرعية عدم المماثلة تماما بين طرفى العقد . لأن الربح الزائد عن المماثلة هنا هو أجر على عمل فى الواقع . وهو عمل التجارة . وهذا التحليل للتجارة يعطى من جانب آخر معنى أكل أموال الناس بالباطل . وهو حصول أحد الطرفين على مال من الطرف الآخر ، دون مقابل له : لهذا الطرف . فعملية النصب والتحايل .. والرشوة .. والمقامرة .. والغصب .. وما شاكل ذلك : تعد من أكل أموال الناس بالباطل . لأن مفهوم التجارة ، وإن كان العمل الشرعى جزءاً منه .. فإن حرية الطرفين فى التعامل فى عقده : جزء آخر فيه . وهذه الحرية غير متوفرة فى النصب والتحايل ، وفى الرشوة ، والغصب .. كما أن شرعية العمل غير متوفرة فى المقامرة) .

« **ولا تقتلوا انفسكم** » (والمراد بها أنفس المؤمنين . والمعنى : أن تقتل نفس نفسا أخرى من بينكم . ولكنه أضاف الأنفس إلى المؤمنين جميعاً : ليشير إلى أن فقدان أية نفس بالقتل من بين المؤمنين هو فى حقيقته يخص المؤمنين جميعا ، وليس فقط تلك النفس التى وقع عليها القتل) **ان الله كان بكم رحيما** » (٥٨) .. (أى حين يطلب إليكم تجنب القتل ، بعد أن طلب منكم عدم أكل أموال الناس بالباطل . لأن كلا من الجريمتين يهدد المجتمع بالفناء . إحداهما بفناء النفوس .. والأخرى بفناء من يمسه إلغاء الوظيفة الاجتماعية للمال . وهى تعلق حق المحرومين فيه) ..

خامس عشر : ترى دعوة القرآن : أن المادية هى عدو الحضارة

---

(٥٨) النساء : ٢٩

الإنسانية ، لأنها تجر الإنسان إلى : الحيوانية .. والعبث .. والفساد فى الحياة البشرية : هى عدو أبدى ودائم للإيمان بالقيم العليا : « **ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه** (أى من القرآن ككتاب يسجل الدعوة إلى الإيمان بالقيم العليا) **حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم** » (٥٩) ..

.. والماديون لا يخلصون أبداً لمن يؤمن بالقيم العليا .. وبالتحول إلى المستوى الحضارى البشرى للإنسان .. ولمن يدعو إليه : ومن هنا يجب أن لا يصادقوا :

« **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة** » (٦٠) .. (إذ فى مصادقتهم والتودد إليهم ما يحول دون الاحتياط منهم .فنفوسهم تنطوى على السوء ، كما تنطوى على الأمل فى إبعاد المؤمنين عن إيمانهم) « **ان يثقفوكم** (أى يظفروا بكم) **يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون** » (٦١) ..

.. ومهما كان يرجى من نفع مادى منهم .. فما يحصله المؤمنون من نفع يعود على تماسكهم وترابطهم عند عدم مصادقتهم : أفضل وأعم مما يتصور لدى أولئكم الماديين : « **وان خفتم عيلة** (أى فقرا وحاجة بسبب مقاطعتكم لهم) **فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ، ان الله عليم حكيم** » (٦٢) ..

.. وإذا كان من الحيطة : عدم مصادقة الماديين .. وعدم الدخول معهم فى معاملات اقتصادية .. فالأسلم على اطلاق : مخاصمتهم .. ومقاتلتهم : « **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله** » (٦٣) ..

.. والقرآن ــ وهو رسالة السلام ــ إذا كان يطلب من المؤمنين : أن يقاتلوا فى سبيل الاحتفاظ بإيمانهم وبعزتهم : أعداءهم الحقيقيين ، وهم الماديون ، فضلا عن عدم التقرب إليهم وعدم مصادقتهم وعدم انتظار النفع المادى منهم .. إذا كان يطلب القتال معهم : فإنه يطلبه كضرورة تفرضها

---

(٥٩) الحج : ٥٥
(٦٠) الممتحنة : ١
(٦١) الممتحنة : ٢
(٦٢) التوبة : ٢٨
(٦٣) التوبة : ٢٩

الحياة للمؤمنين أنفسهم . فطالما الماديون هم الأعداء الحقيقيون للحضارة الإنسانية التى تمثلها قيم الإيمان بالله ، وهم باقون على قوة لهم .. فالخطر سيلحق المؤمنين : إن اليوم .. أو غدا ، من عداوة هؤلاء .

وهذا على نحو ما كان على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام فى الغزوات التى دار فيها القتال . والهدف من القتال يومئذ كان للوقاية ، ولم يكن للتوسع .. كان لحماية المؤمنين : قيم مجتمعهم من أعداء السوء له . وهم المشركون ، أو الماديون الوثنيون فى شبه الجزيرة .

وآية القتال للماديين السابقة نزلت ، بعد أن كانت للمسلمين قوة . نوعية .. وعددية ، يستطيعون أن يواجهوهم بها . فهى من آيات سورة التوبة ، وقد نزلت بعد المائدة . وهذه الأخيرة نزلت فى حجة الوداع بعد فتح مكة . وكان المؤمنون إذ ذاك يمثلون قوة إيمانية .. وعددية مرموقة ، ويخشى منها .

فإذا لم يكن المؤمنون على قوة كافية لمواجهة الماديين بالقتال فى وقت من الأوقات : فالأمر يقف بالمؤمنين عند حد عدم الولاء للماديين . ولهم أن لا يجاهروا بعدم الولاء لهم ، تقية منهم ، كما جاء فى سورة آل عمران :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه (وإعلان تحذير الله للمؤمنين هنا : دليل على خطورة موالاة المؤمنين لأعدائهم ، وبالأخص الماديين منهم : على مجتمعهم .. وأمتهم .. وقيمهم) **والى الله المصير » (٦٤) ..**

.. والقتال ــ وهو سبيل من سبل الوقاية ــ وإن كان مكروها للنفوس ، إلا أنه ينطوى فى حقيقته على خير للبشرية . وهو صيانة الحضارة الإنسانية من الدمار والتخريب الذى تسعى إليه المادية بكل ما تملك من قوة : **« كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ،** (كالتخلف عن القتال فى سبيل القيم العليا ، فإنه شر لا يصيب المتخلفين وحدهم ، وإنما البشرية كلها :

---

(٦٤) آل عمران : ٢٨

« **واتقوا فتنة لاتصيبين الذين ظلموا منكم خاصة** » (٦٥) .. (وهى فتنة التخلف عن القتال . والذين ظلموا هم المتخلفون الذين رضوا أن يكونوا مع القواعد من النساء) **والله يعلم وأنتم لا تعلمون** » (٦٦) ..

* * *

وهذه النماذج من المبادىء فى القرآن الكريم تصور : « التجرد التام » فى قيمتها .. وفى تحليلها . لأنها ترجع جميعها **إلى الاحتفاظ بقيمة الإنسان** كفرد .. وإلى احترام حرمته :

١ ــ فالإيمان مثلا برسالة الحضارة البشرية السابقة ، هو استمرار للاعتراف بالقيم العليا التى جاءت بها الرسالة السابقة ، من أجل تقدير الإنسان وصيانة حرمته . وليس انتكاسا .. ولا هدما وتخريبا لأى جانب من جوانب هذه الحضارة .

٢ ــ والترابط بين الأفراد على أساس القيم العليا وحدها فى حياة الإنسان .

٣ ــ وكذا إيثار استمرار الترابط على هذا الأساس .

٤ ــ وتوفير الاعتبار البشرى لكل فرد .

٥ ــ والتفاضل بين الأفراد على أساس التمايز فى المستوى البشرى .

٦ ــ وإبراز المسئولية الفردية ــ دون المسئولية الاجتماعية .

٧ ــ واستهداف الخير وحده من أى اجتماع غير علنى .. كل هذه المبادىء تتصل مباشرة بكرامة الفرد ، والحرص عليها .

وليس أقل من هذه المبادىء وضوحا وتجردا : لاحترام الفرد وحرمته ، ما جاء فى هذه النماذج ، من أن :

٨ ــ رغبة السلام .. تصحب الإعداد لرد الاعتداء فى الأمة .

٩ ــ وتكافؤ السعى والعمل من أجل الرزق .. مع عبادة الله .

---

(٦٥) الأنفال : ٢٥ (٦٦) البقرة : ٢١٦

١٠ ــ والعدل .. والشورى ، من أسس نظام الحكم الإنسانى .

١١ ــ واعتبار الاحتراف بالقيم العليا ، رجوعا بالحضارة .. إلى الجاهلية .

١٢ ــ وتحكيم المصدر الأصيل للمبادىء العامة ، عند التخاصم فى الرأى بين الأفراد .

١٣ ــ وتدخل الأمة بالإصلاح ، عند مواجهة مجموعة فيها بأخرى .

١٤ ــ وصيانة النفوس والأموال من الضياع . بغير سبيل مشروع .

١٥ ــ واعتبار العدو الأول للحضارة الإنسانية هو المادية وتوجيهها .

* * *

إن جانب تجرد المبادىء القرآنية من الهوى .. والحزبية .. والعصبية .. ومن أى عامل شخصى آخر : هو جانب رئيسى فى إعجاز القرآن .. وبالتالى : هو آية على صلاحيته للإنسان ولتوجيهه صلاحية تامة ، بغض النظر عن مرور الزمن .. أو اختلاف الشعوب والأمم . وكذلك آية على صلاحيته لتأسيس الحضارة الإنسانية عليه ، تلك الحضارة التى تستهدف الإنسان : فى كرامته .. وفى حرمته فى سكنه .. وفى حرمته فى ماله الخاص .. وفى حرمته فى نفسه ، وأمنه من الاعتداء أو الإرهاب .. وفى حريته فى سعيه وفى عمله .. وفى حقه فى العدل .. وفى إبداء الرأى .

والعمل الإنسانى الذى هو : وليد هذه الحرية .. وآت عن طريق استعمال الحق الإنسانى : هو الصور الواضحة للحضارة الإنسانية .

فالقرآن معجز .. وفى الوقت نفسه مصدر للحضارة البشرية .

* * *